

الفصل الأول  
حديث المجدد

## حديث المجدد

### تمهيد:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد :

فقد أوجد الله - تبارك وتعالى - الخلق على ظهر هذه البسيطة - بحكمته البالغة - ليلوهم أيهم أحسن عملاً؟ واقتضت حكمته - سبحانه - أن يجعل فطرتهم الاستقامة والصلاة والميل عن الشرك إلى التوحيد.

فأوجد البشر - أول ما أوجدهم - على الحنيفية، قال - تعالى -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقال: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل -: «كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ<sup>(١)</sup> عبداً حلال، وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين،

(١) «نحلتُهُ»: أعطيته.

فاجتالتهُم<sup>(١)</sup> عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل سلطاناً. . .»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وجعلهم - سبحانه - يولدون حين يولدون على فطرة الإسلام السليمة المستقيمة، كما قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء؛ هل تحسون فيها من جدعاء؟». ثم يقول أبو هريرة: «واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى فِطْرَتِهِ لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام البخاري - رحمه الله -: (والفطرة: الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

(١) «اجتالتهُم»: صرفتهم عن هداهم إلى ضلالتها، وأخذتهم بأن يجولوا معها واختارتهم لأنفسها. (أساس البلاغة).

(٢) رواه مسلم في: ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. ١٦ - باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٨٦٥، ورواه أحمد في المسند، ١٦٢/٤، ضمن حديث عياض بن حمار المجاشعي - رضي الله عنه -.

(٣) رواه البخاري في: ٢٣ - كتاب الجنائز، ٩٢ - باب ما: قيل في أولاد المشركين. رقم ١٣٨٥، الفتح، ٢٤٥ - ٢٤٦/٣.

ورواه أيضاً في: ٦٥ - كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، رقم: ٤٧٧٥، ورواه أيضاً في ٨٢ - كتاب القدر، ٣ - باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم ٦٥٩٩، ورواه مسلم في: ٤٦ - كتاب القدر، ٦ - باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٦٥٨، ورواه أحمد في مواضع، ٣١٥/٢، ٣٤٦ - ٣٤٧، ٢٧٥.

(٤) صحيح البخاري في: ٦٥ - كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

ويشهد لذلك أن في بعض ألفاظ الحديث: «ما من مولود يولد إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه»<sup>(١)</sup>.

ولأن الله - تعالى - أراد ابتلاء البشر وامتحانهم ليتحقق في واقع الحياة ما علمه عنهم بسابق علمه سبحانه؛ فقد جعلهم قابلين لسلوك كلا الطريقين: الخير أو الشر، ففي مقدورهم الاستمرار على الفطرة الأولى، وفي مقدورهم الانحراف عنها والميل إلى طريق الضلال.

وزودهم بالوسائل والمدارك التي يتمكنون باستعمالها من معرفة الحق وإدراكه - في الجملة - ويسرّ لهم من الدلائل والبيّنات في الآفاق وفي أنفسهم ما يقوي عنصر الخير ويمكّنه.

وبعث لهم الأنبياء والرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - مبشرين ومنذرين، بحيث لم يعد للناس على الله - تعالى - حجة.

كما ابتلاهم - سبحانه بحكمته - بالشهوات والشبهات لتكون محكاً حقيقياً يكشف عن توجه الإنسان ومقصده، والشياطين تذكّي هذه وتلك، وتؤزّز الإنسان للشر والمنكر أزاً.

وهكذا يبدأ الصراع بين الحق والباطل:

- داخل النفس البشرية بين قوة الخير، تؤيدها الرسالات السماوية

(١) هذا أحد ألفاظ مسلم.

وتشهد لها الأدلة الكونية والعقلية؛ وقوة الشر، تؤججها الشياطين المسلطة على ابن آدم.

- ثم في مجال الحياة البشرية - بشكل أوسع - حيث يتميز المؤمنون أتباع الرسل، عن المجرمين أتباع الشياطين . . ثم تتصارع هاتان الفتتان للسيطرة على الحياة البشرية وتوجيهها وقيادتها.

ولقد تعاهد الله - تعالى - البشرية بالمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين كانوا يقودون خطاهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فكان منهم من يأتي بشريعة إلهية جديدة، ومنهم من يأتي لتجديد ما اندرس من شريعة نبي قبله، حتى ختم الله الرسالات برسالة محمد ﷺ، وانقطع بموته - عليه الصلاة والسلام - الوحي الذي كان يتنزل من قبل على الأنبياء والمرسلين.

وإن من طبيعة الحياة الإنسانية أن تركد وتأسن، ويطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئاً فشيئاً تسرب الماء الآسن إلى المشرع الروي الزلال . .

ولا يلبث نقاء العقيدة أن يشوبه شيء من ذرائع الشرك ووسائله وأسبابه ثم تظهر بعد حين النتائج المخوفة من وراء تلك الذرائع والوسائل والأسباب.

ولقد كان ناس من الناس ينحرفون في أعظم الأمور وأخطرها - في قضايا الاعتقاد - حتى في حياة رسلهم عليهم الصلاة والسلام، فكيف وقد ختمت الرسالات، وأغلقت أبواب الوحي فلا يتنزل بعد؟ وكيف بما دون تلك القضايا من أمور التشريع؟

وإذا كان المنافقون والضالون يجدون من يستمع إليهم ويصغي إلى وسواسهم رغم وجود الرسول ﷺ الذي يمثل القيادة السليمة والقُدوة الصالحة، ويكشف عن مُحيا الحق حُجب الباطل فيسفر كالشمس ليس دونها سحب؛ فكيف يكون الأمر إذا ضاعت السبل، وتفرقت الأهواء وكثرت الأصوات المضللة، وخفت صوت الحق، والتبست معالمه فلم يعد الناس يميزون بين الأصوات، ولا بين الألوان؟

إن الأمة في مثل تلك الحال تحتاج إلى بروز قيادة إسلامية متميزة تجدد لها أمر دينها، وتجلي الحقائق الملتبسة، وتحيي الفرائض المعطلة، وتزيل ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة.

وبمثل هذه القيادة التي تضطلع بمهمة الخلافة للنبيين في تجديد الدين وإحيائه بشر الحديث النبوي الشريف.

### حديث المجدد وأقوال العلماء فيه:

قال الإمام أبو داود - رحمه الله تعالى - (في سننه): حدثنا سليمان ابن داود المَهْرِي، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا سعد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة - فيما أعلم -

عن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

قال أبو داود : (رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني ، لم يجز به شراحيل)<sup>(١)</sup> .

وهذا الحديث أخرجه أيضاً : الحاكم في مستدركه من طريق الربيع ابن سليمان بن كامل المرادي ، عن ابن وهب به <sup>(٢)</sup> .

ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) من طريق عثمان بن صالح ، عن ابن وهب <sup>(٣)</sup> .

ورواه ابن عدي في (الكامل) من رواية عمرو بن سواد ، وحرمله ابن يحيى ، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، ثلاثتهم عن عبد الرحمن ابن وهب <sup>(٤)</sup> .

ومن طريقه - طريق ابن عدي - أخرجه البيهقي في (معرفة السنن والآثار)<sup>(٥)</sup> .

(١) أبو داود : ٣١ - كتاب الملاحم ، ١ - باب ما يذكر في قرن المائة ، رقم ٢٩١ .

(٢) المستدرک : كتاب الفقه والملاحم ، ٤ / ٥٢٢ ، دار الفكر .

(٣) تاريخ بغداد ، ٢ / ٦١ ، نشر دار الكتاب العربي .

(٤) المقدمة ، ص ١٨١ - ١٨٣ ، تحقيق : السامرائي ، ط : الأعظمي ببغداد ، وكذلك ١ / ١٢٣ ، ط : دار الفكر .

(٥) معرفة السنن ، للبيهقي ، ١ / ١٣٧ ، تحقيق : سيد أحمد صقر ، ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن حرملة بن يحيى، وعمرو ابن سواد<sup>(١)</sup>.

ومن طريقه أخرجه البيهقي في (مناقب الشافعي)<sup>(٢)</sup>.

وعزاه السيوطي والسخاوي باللفظ السابق إلى الطبراني في (معجمه الأوسط)<sup>(٣)</sup>.

كما عزاه السيوطي إلى أبي نعيم، والبزار، ولعله لا يقصد الحديث بلفظه السابق، بل يقصد اللفظ الآخر الآتي قريباً إن شاء الله.

كما عزاه الألباني إلى أبي عمرو الداني في (الفتن)، (١/٤٥)، والهروي في (ذم الكلام)، (ق / ١١١ / ٢)، وانظر اللفظ الآتي بعد قليل<sup>(٤)</sup>.

ورواه ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) من طريق أبي داود ثم من طريق ابن عدي<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه: (توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس)، ص ٢٤٠ من المخطوط في مكتبة الحرم المكي، برقم ١٠٦، مجاميع. وتابعه على ذلك المصنفون من بعده كالسيوطي، والعظيم أبادي صاحب (عون المعبود).

(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي، ١/٥٣، تحقيق: أحمد صقر، ط: دار التراث.

(٣) السيوطي في رسالته المخطوطة: (التنبئة فيمن يبعث الله على رأس كل مائة)، ص ٢٢. والسخاوي في «المقاصد الحسنة»، ص ١٢٢، رقم ٢٣٨، ط: دار الكتب العلمية.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/١٥٠، رقم ٥٩٩، المكتب الإسلامي.

(٥) ص ٥١، ٥٢، ط: القدسي، عام ١٣٩٩ هـ.



وقول الراوي : (فيما أعلم) ليس شكاً في رفع الحديث ، وإنما هو من قبيل التحرز في الرواية ، والتشدد في الأداء ، المعروف عند السلف .

وعلى فرض وقف الحديث فهو في حكم المرفوع ؛ لأنه مما لا يقال بالرأي المجرد بل بالتوقف ؛ إذ هو إظهار لأمر مستقبل لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقول أبي داود : (ورواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني ، لم يجز به شراحيل) ، فهو يعني أن عبد الرحمن قد أعضل الحديث فأسقط من إسناده أبا علقمة وأبا هريرة .

وطريق سعيد بن أبي أيوب المتصلة هي الراجحة وإن كان كلاهما ثقتين ؛ لأنها من باب زيادة الثقة ، وزيادة الثقة مقبولة إذا لم يعارضها ما هو أثبت منها ، وهذا الحاصل هنا ، فيتعين قبولها والمصير إليها .

وقد صحح الأئمة هذا الحديث حتى نقل بعضهم الإجماع على تصحيحه ، ومن أشهرهم :

١ - الحاكم حيث سكت عنه ، ثم الذهبي كما في (المستدرک) ، ونقل غير واحد تصحيح الحاكم له ، منهم : السيوطي <sup>(١)</sup> ثم المناوي <sup>(٢)</sup> .

(١) السيوطي في (التبئة) ، ص ٢٢ ، وفي شرحه : (مرقاة الصعود على سنن أبي داود) ، ص ١٨٩ ب (مخطوطان) .

(٢) فيض القدير ٢ / ٢٨٢ .

- ٢ - وقال ابن حجر - بعد سياق أقوال الأئمة في المجدد -: «وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهوراً في ذلك العصر ، ففيه تقوية للسند المذكور ، مع أنه قوي لثقة رجاله»<sup>(١)</sup> .
- ٣ - وقال السيوطي : «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح . . .» ، ثم قال : «وأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث»<sup>(٢)</sup> .
- ورمز لصحته في (الجامع الصغير)<sup>(٣)</sup> .
- ٤ - وقال الزين العراقي : «سنده صحيح»<sup>(٤)</sup> .
- ٥ - وقال السخاوي : « سنده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات»<sup>(٥)</sup> .
- ٦ - وقال المناوي : «بإسناد صحيح»<sup>(٦)</sup> .
- ٧ - وقال الألباني : «والسند صحيح ، ورجاله ثقات ، رجال مسلم»<sup>(٧)</sup> .

(١) توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس (المخطوطة) ، ص ٢٤ ب .

(٢) التنبيه ، ص ١٢ ، ونحوه في مرقاة الصعود ، ص ١٨٩ ب .

(٣) الجامع الصغير ، ١ / ٧٤ .

(٤) ذكره السيوطي في مرقاة الصعود ، ص ١٨٩ ب ، وفي التنبيه : ١٢ ، والمناوي في فيض القدير ٢ / ٢٨٢ ، وصاحب عون المعبود ، ٤ / ١٨٣ ، ط . هندية . . وغيرهم .

(٥) المقاصد الحسنة ، ص ١٢١ ، ثم قال : (وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث) .

(٦) فيض القدير ، ٢ / ٢٨٢ .

(٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ٢ / ١٥٠ ، رقم ٥٩٩ .

وقال في صحيح الجامع : حديث صحيح . ٢ / ١٤٣ ، رقم ١٨٧٠ ، ط : المكتب الإسلامي .

وبالجملة فقد اعتمده العلماء: الزهري، وسفيان بن عيينة، وأحمد، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، والنووي، وابن السبكي، وابن حجر العسقلاني، والحافظ الذهبي، والحافظ زين الدين العراقي، والحافظ ولي الدين العراقي، وابن الجزري، وابن كثير، وابن الأثير، والسيوطي، والسخاوي، والمناوي، ومئات غير هؤلاء، كلهم اعتمدوا الحديث، واشتغلوا في تحديد من ينطبق عليهم الحديث.

ولم نعثر خلال البحث على من ضعف الحديث أو تكلم فيه، فالحمد لله رب العالمين.

#### ألفاظ أخرى للحديث:

ورد الحديث بألفاظ أخرى مختلفة قليلاً أو كثيراً عن اللفظ المسوق من قبل.

فرواه النحاس عن سفيان بن عيينة قال: «بلغني أنه يخرج في كل مائة سنة بعد موت رسول الله ﷺ رجل يقوي الله به الدين. وإن يحيى ابن آدم عندي منهم»<sup>(١)</sup>. وبنحوه أخرجه البزار<sup>(٢)</sup>.

= أما قوله: (رجال مسلم) فنعم، وانظر في ذلك: تهذيب التهذيب، ٦ / ٧١؛ ٤ / ٧، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٦؛ ١٢ / ١٧٣.

(١) الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، مخطوط، ورق ٨٥/ب، ٨٦/أ.

(٢) عن توالي التأسيس، لابن حجر، مخطوطة، ورقة ٢٤ / أ، والتنبيه، ورقة ٢-أ-ب.

وروي عنه بلفظ : «إن الله يمينُ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة  
برجل من أهل بيتي ، يبين لهم أمر دينهم»<sup>(١)</sup> .

والفاظ آخر غير هذه كثيرة تلتقي كلها عند الإمام أحمد ، وهي  
روايات معلقة لم توجد موصولة في موضع آخر ، ولم يوقف على  
إسناده في شيء من الكتب ولا الأجزاء الحديثية - كما قال السيوطي<sup>(٢)</sup> ؛  
ولذا لا يعول على المعاني التي انفردت بها هذه الروايات ، مثل : كون  
المجدد فرداً ، وكونه من أهل بيت النبي ﷺ ، وكونه على رأس المائة بعد  
موت النبي ﷺ كما هو ظاهر لفظ ابن عينة - رحمه الله - .

#### بعض المعاني المستخرجة من الحديث:

إن هذا الحديث العظيم إحدى البشائر التي وعد الرسول ﷺ فيها  
أمته ، وإنه ليمنح المسلم المصدق بما جاء به الرسول - عليه الصلاة  
والسلام - طاقة من الأمل الأكيد بنصر الله لعباده المؤمنين ، ويمنحه - فوق  
هذا - دفعة قوية للعمل والبذل والتضحية رجاء أن يكتب الله له حظاً من  
أجر المجددين .

(١) أبو نعيم في الحلية ، ٩٧/٩ ، وأبو إسماعيل الهروي بواسطة التنبيه ، ورقة ٢/ب ، ولعله  
هو اللفظ الذي عناه الشيخ الألباني في إحالته السابقة إلى الهروي في : (ذم الكلام) .  
(٢) التنبيه ، ورقة ٥/ب .

### وهذه عدد من الوقفات عند بعض المعاني التي نستلهمها من الحديث:

١- فأول ما يستوقف المتأمل قول الرسول ﷺ : « يبعث لهذه الأمة »، إن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فحسب، بل تجاوز ذلك ليعيش « لهذه الأمة ». وسواء كان المقصود أمة الدعوة - على ما رآه قوم - أم أمة الإجابة - على ما رآه آخرون -؛ فإن هذا المجدد تعدى نطاقه المحدد إلى الأفق الأوسع ليؤثر في مجريات الأمور والأحداث من حوله، وليقود خطوات الأمة المسلمة في معركة الحياة؛ ومن ثم يحدث التوازن في مسيرة الحياة البشرية كلها، ويأخذ الإسلام دوره في الوجود. وهو بهذا مجدد للأمة الإسلامية بإيقاظها، وإعادة ثقتها بدينها، وردّها إلى المنهج الصحيح.

وهو مجدد للبشرية كلها، البشرية المتلهفة إلى العدالة والإيمان، المحتاجة إلى العقيدة أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب والهواء.

إن هذا المجدد ليس ممن يقنعون باليسير، ويرضون بالدون، فيكتفي أحدهم بحفظ نفسه ومن تحت يده - إن استطاع - ثم يترك أمر الناس للناس! . . بل قد تعاظمت همته واشتدت عزيمته فصار لا يطيق صبراً على الفساد والانحراف، وأقلق قلبه تسلط الظالمين والمفسدين وتوجيههم للحياة وفق ما يريدون، فألى على نفسه أن يزاحمهم ما

استطاع، ويشق الطريق للأخيار حتى يأخذوا دورهم في الحياة من جديد.

إن الذين تتحرك في نفوسهم الآمال والتطلعات كثيرون، ولكنهم يتناقصون ويتساقطون واحداً بعد الآخر كلما تقدمت بهم الطريق، وازدادت التحديات، وكثرت المتاعب.

ومن أجل ذلك تميز فرد أو أفراد بأنهم المجددون؛ لأنهم صابروا العقبات وغالبوها حتى غلبوها؛ لأن هممتهم كانت أعظم من تلك العقبات، كانت: تجديد الدين لهذه الأمة، وإعطاء المسلمين دورهم القيادي بين الأمم، مع تحقيق معنى انتمائهم للإسلام.

لذلك فهم يمارسون دورهم العالمي من خلال دورهم الإسلامي، ويمارسون دورهم الإسلامي من خلال فئتهم الخاصة التي هي النواة الأولى للإصلاح المرتقب.

٢- أما «البعث» المذكور أنه يكون على رأس المائة؛ فإن البعث هو الإثارة والإرسال، فيكون المعنى: إن الله يقيض لهذه الأمة على رأس المائة مجدداً، أي: إن هذا المجدد يتصدى في رأس المائة (لنفع الأنام، وينتصب لنشر الأحكام)<sup>(١)</sup>.

فليست ولادته ولا وفاته على رأس المائة، بل تجديده؛ ولذلك

(١) مقدمة فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٠.

استغرب الإمام المناوي فهم بعض العلماء أن المبعوث يكون موته على رأس القرن، وقال: «وموته على رأس القرن أخذ لا بعث»<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأثير: «وإنما المراد بالذكر: من انقضت المائة وهو حي، عالم مشهور مشار إليه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الكرمانى والطيبى مثل ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال السيوطي في منظومته التي سمّاها: (تحفة المهتدين بأخبار المجددين)<sup>(٤)</sup>:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنة في كلامه<sup>(٥)</sup>

وكذلك لا نعلم دليلاً في اشتراط كون وفاة المجدد في بدء القرن التالي أو بعده بقليل، كما يلحظ في منهج كثير ممن تصدوا لتعيين المجددين؛ حيث يستبعدون بعض الأئمة محتجين بأن وفاته تأخرت

(١) مقدمة فيض القدير، للمناوي، ١٢ / ١.

(٢) جامع الأصول، ١١ / ٣٢٤، تحقيق: الأرنبوط، ط: الملاح.

(٣) فيض القدير، ١٢ / ١، وانظر: عون المعبود، ٤ / ١٧٨، ١٨٠.

(٤) موجودة بكاملها في آخر رسالته (التنبئة)، وموجودة في فيض القدير، ٢ / ٢٨٢، وعون المعبود، ٤ / ٨١.

(٥) التنبئة، ص ١٨ / ب.

إلى العشرين مثلاً أو الثلاثين بعد المائة مثلاً<sup>(١)</sup>.

وسواء كان بعث المجدد في نهاية القرن السابق، أم في بداية القرن اللاحق فليس ثمة ما يدل على ضرورة اشتراط وفاته في تلك الفترة. وهذا كله على اعتبار أن المجدد فرد واحد، وسيأتي الحديث عن هذه المسألة مفصلاً بعد قليل بإذن الله.

٣- أما المقصود بـ (الرأس) في قوله ﷺ: «على رأس كل مائة سنة»؛ فقد قال بعضهم: يعني في أولها، وقال آخرون: بل في آخرها<sup>(٢)</sup>.

وأصل مادة «رأس» في اللغة يدل على التجمع والارتفاع<sup>(٣)</sup>.

وتستعمل هذه المادة في الوجهين، في أول الشيء وفي آخره؛ فتقول: أعد عليّ كلامك من رأس، وأنت على رأس أمرك، بمعنى: أوله<sup>(٤)</sup>.

ومثله: رأس المال، أي: أصله وأوله<sup>(٥)</sup>.

(١) ومن هؤلاء: ابن السبكي في: طبقات الشافعية، ١/ ٢٠٢، حيث يرجح بعضهم لقرب وفاته من رأس المائة. وبدر الدين الأهدل في رسالته: (الرسالة المرضية في نصر مذهب الأشعرية) على ما نقله السيوطي في التنبيه، ص ١٣/ ب، وانظر: مستدرك الحاكم، ٤/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) انظر: عون المعبود، ٤/ ١٧٨-١٧٩، ط: الهندية.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/ ٤٧١، دار الكتب العلمية-إيران-قم.

(٤) الصحاح، للجوهري، ٣/ ٩٣٣، دار العلم للملايين، ومعجم مقاييس اللغة.

(٥) القاموس المحيط، ٢/ ٢٢٦، ط: الحلبي.



وتقول: القافية رأس البيت، بمعنى: آخره<sup>(١)</sup>.

وجاء في الشرع الوجهان، فمن الأول: «رأس الأمر الإسلام»<sup>(٢)</sup>،  
بمعنى: أوله وأسه.

ومن الثاني: «قد كانت إحداكن ترمي البعرة عند رأس الحول»<sup>(٣)</sup>،  
يعني: في آخره.

ومثله قوله ﷺ: «أرأيتم ليلتكم هذه؟ على رأس مائة سنة منها  
لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»<sup>(٤)</sup>.

وحين نعود إلى تحديد الأئمة للمجددين نجده محتملاً للوجهين،  
فهذا عمر بن عبد العزيز الذي أطبقت عليه الأمة تولى سنة ٩٩ هـ،

(١) لسان العرب، ٦ / ٩١، ط: دار صادر.

(٢) حديث مرفوع رواه الترمذي في: ٤١ - كتاب الإيمان، ٨ - باب ما جاء في حرمة الصلاة،  
حديث رقم ٢٦١٦، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) حديث مرفوع رواه مسلم في: ١٨ - كتاب الطلاق، ٩ - باب وجوب الإحدا، رقم ٦١،  
وأبو داود في: ٧ - الطلاق، ٤٣ - باب إحدا المتوفى عنها زوجها، رقم ٢٢٩٩،  
والترمذي في: ١١ - كتاب الطلاق، ١٨ - باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها، رقم  
١١٩٧، والنسائي في الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، ٦ / ١٨٨، وليس فيه  
لفظ: (رأس الحول).

(٤) حديث: «أرأيتم ليلتكم...» رواه البخاري في صحيحه في: أ - ٣ - كتاب العلم، ٤١ -  
باب السمر في العلم، حديث رقم ١١٦، ب - ٩ - مواقيت الصلاة، ٢٠ - باب ذكر  
العشاء والعتمة، حديث ٥٦٤، ج - ٩ - مواقيت الصلاة أيضاً، ٤٠ - باب السمر في الفقه  
والخير بعد العشاء، حديث ٦٠١، ورواه الإمام أحمد في (مسنده)، ٢ / ٨٨، ١٢١،  
١٣١.

وتوفي - رحمه الله - سنة ١٠١ هـ .

ثم من بعده الشافعي ، توفي - رحمه الله - سنة ٢٠٤ هـ ، ولعل القضية تقرينية لا تحتل الحسم القاطع بحيث لو وجد من تنطبق عليه صفات المجدد ثم مات قبل تمام المائة بخمسة أيام يكون مجدداً!

ولعل مما يلتحق بهذا معرفة مبدأ المائة : من أين يكون؟ أم من مولده ﷺ؟ أم من بعثته؟ أم من هجرته؟ أم من وقت نطقه بذلك الحديث؟ أم من وفاته؟ .

ولا نحب أن ندخل في جدل حول هذه الأمور - وإن كان الترجيح بينها ممكناً - ولكننا نقول :

إن بداية أي قرن تتصل بنهاية القرن الذي قبله ، ومما لا يتلاءم مع طريقة الشرع اعتبار الفصل بينهما بصورة قاطعة ؛ ذلك أن الشرع حتى في الأمور العبادية كالصلاة والصيام والحج وغيرها علّق ذلك على أمور ظاهرة مدركة لجمهور الناس . . فكيف بما ليس كذلك ولا يدخل فيه تعبد؟

الظاهر - والله أعلم - أن عدم تحديد المقصود بالرأس ، وعدم تحديد المبتدأ . . كل ذلك أمرٌ مقصود فيه أن المجدد يظهر كلما دعت الحاجة إليه لبعده الناس عن عهد النبوة ، أو لبعدهم عن عصر المجدد السابق .

وهذا ينسجم مع الأحداث التاريخية كلها؛ فإنها تسير بقدر الله - تعالى - على دفع ما تقتضيه الأسباب - غالباً - غير مقيدة أو محددة بفترات معينة .

ومما يبين ذلك ويجليه أن الأحداث والمصائب النازلة بالمسلمين في دينهم ودنياهم ، والتي يفتقر المسلمون خلالها إلى ذلك المجدد هي غير سلسلة ولا موقوفة بأزمة خاصة .

وفي تلك النكبات تتجلى رحمة الله بأمة محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث ينقذها بفضلها من الهلكة بمن يبعثه يحمل النور في ظلمة الديجور .

كما أن هذا المجدد ينبغي أن يُتصور أن له من التأثير الممتد زماناً ومكاناً ما يجعله حياً في الأجيال التالية بعلمه وعمله ، وإن كانت حياته الدنيوية المحدودة قد انتهت .

وإن من شأن هذا التصور الذي عرضناه ، وهذا الرأي الذي اخترناه أن ترد الأمور إلى نصابها ؛ فيحسب من أحياء للأمة ما اندرس من أمر دينها إحياء ظاهراً ملموساً للعيان من المجددين دون أن يعكر على ذلك كون وفاته تقدمت أو تأخرت عن رأس القرن .

٤- أما قوله ﷺ : « من يجدد لها دينها » فيثور حوله سؤال ذو أهمية كبيرة : هل المقصود بذلك فرد أو رجل كما صرحت به الروايات التي

رويت عن الإمام أحمد وسفيان؟ أو إن المقصود ما هو أوسع من ذلك؟  
فأما لفظ «مَنْ» فمما لا يخفى أنه يطلق على المفرد وعلى الجماعة  
- من حيث اللفظ -، ومن حيث المراد بها في الحديث قال بعضهم:  
المقصود بها فردٌ، وحملوا «مَنْ» في هذه الرواية على لفظ «رجل»، أو  
«عالم» في الروايات الأخرى التي سلف بيان شأنها<sup>(١)</sup>.  
واختار هذا الرأي عدد من العلماء، ونسبه السيوطي إلى الجمهور  
فقال:

وكونه فرداً هو المشهور قد نطق الحديث، والجمهور<sup>(٢)</sup>  
ونسبه غيره إلى (العلماء)<sup>(٣)</sup>. واختار آخرون العموم، منهم:  
الحافظ ابن حجر، وابن الأثير، والذهبي، والمنناوي، والعظيم  
آبادي، وغيرهم، وسيأتي بسط كلامهم.  
وقبل الدخول في محاولة الترجيح نرى التقديم بحديثين فيهما  
بشريان آخران لهذه الأمة:  
أولهما: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من

(١) انظر: توالي التأسيس، ص ٢٤/ب، وفيض القدير، ١/ ١٠، وفتح الباري، ١٣ / ٢٩٥.

(٢) التنبيه، ص ١٨/ب.

(٣) بذل المجهود، ١٧ / ٢٠٣.

خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث عظيم مشهور، بل يصلح أن يدعى فيه التواتر، فقد ورد من طرق كثيرة جداً عن عدد من الصحابة، منهم: عمران بن حصين، وثوبان، وقرّة بن إياس، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان، وعقبة بن عامر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وأبو عتبة الخولاني، وعمر بن الخطاب، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن أرقم، ومرة البهزي، وسلمة بن نفيل السكوني، وشرحبيل بن السمط الكندي<sup>(٢)</sup>.

قال الترمذي: «وفي الباب عن عبد الله بن حوالة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في ٩٦ - كتاب الاعتصام، ١٠ - باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، رقم ٧٣١١، ٧٣١٢، ومسلم في ١ - كتاب الإيمان، ٧ - باب نزول عيسى عليه السلام، حديث رقم ١٥٦، وأبو داود في كتاب الجهاد، ٤ - باب دوام الجهاد، رقم ٢٤٨٤، ورواه أحمد في مسنده: ٣٤ / ٥، ٢٣٩، ٢٧٨، ٢٧٩. ورواه الطبراني في مواضع منها: ٢ / ٢٤٨، رقم ١٩٢٢، ص ٢٥٠.

(٢) مر تخريج أحاديثهم في الصفحة السابقة، أما سلمة بن فضيل فأشار إلى حديثه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٤٢، ط: مؤسسة الرسالة (مع الرد على الجهمية)، ورواه في تاريخه الكبير، ٤ / ٧١، وحديث شرحبيل في: ٤ / ٢٤٨.

(٣) سنن الترمذي، ٤ / ٤٨٥.

فهؤلاء إحدى وعشرون نفساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، رواه عنهم عدد لا يحصون كثرة من التابعين ، مع أننا لم نسلك مسلك الاستقصاء .

وفيه إشارة إلى ما يصيب الأمة من الانحراف والضعف والوهن والاختلاف حتى لا يبقى إلا هذه الطائفة القائمة بالحق المقاتلة دونه ، القاهرة لعدوها ، الصابرة فلا يضرها من خذلها ولا من ناوأها إلا ما يصيبها من اللأواء ، حتى يكون آخرهم مع عيسى بن مريم يقاتلون الدجال .

وقد قال الإمام البخاري في ترجمته على الحديث : (باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » ، وهم أهل العلم) (١) .

وقال الإمام الترمذي : «سمعت محمد بن إسماعيل يقول : سمعت علي بن المديني يقول : هم أهل الحديث» (٢) ، وروى الحاكم عن الإمام أحمد أنه قال : «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟» (٣) .

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ، ١٣ / ٢٩٣ .

(٢) ذكره الترمذي في موضعين من سننه ، الأول في ٤ / ٤٨٥ ، كتاب الفتن ، والثاني في ٤ / ٥٠٤ ، الكتاب نفسه .

(٣) معرفة علوم الحديث ، ص ٢ ، نشرة : معظم حسين .

قال الحافظ في الفتح: «بسند صحيح»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»<sup>(٢)</sup>. ونقل ابن حجر كلام النووي ثم زاد في آخره: «ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله»<sup>(٣)</sup>.

وثانيهما: قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري، ١٣ / ٢٩٣.

(٢) شرح النووي على مسلم في كتاب الإمارة، ١٣ / ٦٦.

(٣) فتح الباري، ١٣ / ٢٩٥.

(٤) الحديث ورد من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة بألفاظ مختلفة، منهم أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، وأنس، وأبو معاوية، وأبو الدرداء، ووائل بن الأسقع، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص.

وهذا الحديث وإن كان فيه بيان تفرق الأمة الواحدة إلى شيع شتى، إلا أن فيه بيان حفظ الله لدينه بإقامة فرقة ناجية تلتزم بهدي رسول الله ﷺ في اعتقادها وسلوكها، وهذه الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة، والله أعلم.

ولا نزن حديث المجدّد بمعزل عن مفهوم هذين الحديثين؛ فحين تستحكم الأهواء، وتعبث بهذه الأمة الآراء، فتفترق إلى هذه الفرق الكثيرة، تكون الفرقة الناجية المنصورة هي القائمة بأمر الله في خضم هذه النزاعات والاضطرابات، الملتزمة بمنهج الرسول ﷺ في جميع أمورها. ولا شك أن كل طائفة متحيزة على شيء من الدين سوف تدعي - كما

= وهذه مواضع أحاديثهم على الإجمال:

أبو داود: ٢٣ - كتاب السنة، ١ - باب شرح السنة، رقم ٤٥٩٦، ٤٥٩٧، الترمذي: ٤١ - كتاب الإيمان، ١٨ - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٦٤٠، ٢٦٥١، ابن ماجه: ٣٦ - كتاب الفتن، ١٧ - باب افتراق الأمم، رقم ٣٩٩١ - ٣٩٩٣، أحمد: ٢ / ٣٣٢؛ ٤ / ١٠٢؛ ٣ / ١٢٠، ١٤٥. الحاكم في المستدرک في کتاب العلم، ١ / ١٢٨، وقال: صحيح على شرط مسلم، ٢ / ٤٨٠، وقال: صحيح الإسناد، وقال: هذه الأسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح الحديث، الدارمي: ١٧ - كتاب السير، ٧٥ - باب في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٥٢١، ١٥٨ / ٢. الطبراني في الكبير: ٨ / ٣٢٧، رقم ٨٠٥١، ص ١٧٨، رقم ٧٦٥٩، ص ٣٢١، رقم ٨٠٣٥، ج ١٠، ص ٢٧١ - ٢٧٢، رقم ٢١١ - ٢١٢. وفي الصغير، ١ / ٢٢٤، والآجري في الشريعة، ص ١٥ - ١٨، وابن أبي عاصم في شرح السنة، ١ / ٣٢ - ٣٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، ١ / ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، والطبري، ٢٧ / ٢٣٩، ورواه ابن أبي حاتم، والحاثر بن أبي أسامة وغيرهم.



يدعي غيرها - أنها هي المقصودة في الأحاديث النبوية .

وكلُّ يدعي وصلاً بليلي وليلى لا تُقرُّ لهم بوصل !

وليس من حقِّ أحدٍ أن يتحكم فيدخل من شاء ضمن هذه الطائفة ، وينفي من شاء وفق رغبته وهواه ، بل يكون ذلك وفق ميزانٍ عدلٍ مقسط ، وهو عرض حال المدَّعي على الصفات النظرية والعملية التي وصف السلف الصالح بها هذه الفئة ، وهي :

١- موافقة اعتقاداتها لما كان عليه ﷺ وأصحابه ، في أبواب العقيدة

كلها :

من أسماء الله وصفاته ، والإيمان ، والقدر ، إلى غير ذلك من أصول الاعتقاد . وأسعد الناس بذلك هم الذين يؤمنون بالنصوص إيماناً صادقاً دون أن يسلطوا عليها سهام التحريف والتأويل والإنكار والتضعيف . ومن أين يستطيع أحد أن يثبت أن الصحابة اعتقدوا بالأصول والنتائج التي اعتقدها المخالفون ممن أشربوا حب الكلام ، وجعلوا العقل الفلسفي حاكماً على النصوص ، ففسروا النص وفق ما يقتضيه ذلك العقل - في نظرهم - وإن أدى ذلك إلى أن يفهم من النص نقيض معناه؟!!

وليس بنا الآن حاجةٌ إلى نقل نصوص الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهديين لأنها أكثر من أن يتسع لها المقام ، ولكن نحيل

إلى بعض مواطنها لمن يريد<sup>(١)</sup>.

٢- اعتمادها في التفقه والاستنباط على الوحي المنزل، أو على ما أحال عليه الوحي المنزل من الأدلة كالإجماع الثابت، أو القياس الصحيح، أو المصلحة الراجحة التي لا تعارض نصاً من النصوص.

وأين من ذلك الذين نبذوا مفهومات النصوص، وتشبثوا بأقوال الأئمة وقدموها على الوحي المنزل حتى قال قائلهم: (كل نص خالف ما قاله الأصحاب فهو إما منسوخ أو مؤول) ! وليس يعني هذا نبذ أقوال أهل العلم المعبرين ونشر الفوضى بين المسلمين، وفتح المجال للطلبة الصغار الذين لا يحسنون التلاوة، فضلاً عن أن يعرفوا النسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد ليتولوا أمر الفتيا فيضللون ويضلّلون. كلا، فالتقليد في بعض الحالات يصبح (ضرورة)، وهكذا نريد أن يعامل على أنه جائز ضرورة، فمتى استغنى عنه الإنسان في أي مسألة تركه إلى الدليل.

(١) انظر أقوالهم في:

١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام اللالكائي، ١/ ١٥١-١٨٦؛ ٢/ ٢٢٧-٢٣٠.

٢- العلو للعلي الغفار، للإمام الذهبي، ومختصره للألباني.

٣- مجموع (عقائد السلف) جمع: علي سامي النشار، عمار الطالبي.

٤- الشرح والإبانة، لابن بطة.

٥- البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي.

٦- كتب: (السنة)، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وابن أبي عاصم، والمروزي.

٣- ومن الخصائص المهمة لأهل السنّة - أهل الحديث كما يعبر البخاري وابن المديني وأحمد - رحمهم الله - : الحرص على العمل بالشرع والتزام الأوامر والنواهي :

ولقد تسرب إلى أذهان كثير من الناس أن كلمة (أهل السنّة) تعني المذهب الاعتقادي فحسب ، وذلك خطأ بيّن ، إن المعرفة الصحيحة بالله التي يحرص عليها أهل السنّة ليست هي المعرفة الذهنية الباردة ، بل هي المعرفة القلبية الحية التي ينتج عنها الخوف والرجاء والمراقبة والامثال . ولذا كان الأئمة السابقون حين يذكرون أهل السنّة يعتبرون من خصائصهم : المحافظة على المفروضات والسنن والمستحبات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم ، وحب المساكين ، والإحسان إلى الجيران .

قال الإمام المحدث الشيخ أبو عثمان الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ في رسالة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) : ( . . ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات ، ويوجبون قراءة الفاتحة خلف الإمام ، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً ، ويعدّون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما ، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه ، وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدين مطمئنين فيه ؛ من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها ، ويتواصون بقيام

الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه . . . إلخ<sup>(١)</sup>. وإلى هذا وذاك فأهل الحديث والسنة يحرسون على جمع الصف ووحدة الكلمة داخل هذا الإطار، فهم ليسوا حزباً محدوداً ينفي من عداه بالهوى والتحكم، ولكنهم راية عقديّة أثرية من انطبقت عليه صفاتها وخصائصها فهو من هذه الفئة أقرّ له الآخرون بذلك أم لم يقرّوا.

امتناع أن يكون المجدّد من غير أهل السّنة:

فهذه الفئة أو الطائفة الموعودة يمتنع أن يكون المجدّد من غيرها امتناعاً تاماً؛ إذ هي القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه حذو القذة بالقذة، ومن ثم فهي المجدّدة لهذا الدين حين كاد يخلقُ بغبرة الأهواء وظلمتها، وهي الواقفة عند حدود الله حين تجارت الأهواء بأصحابها فلم يبق لهم من الدين إلا الانتساب، فكيف يكون التجديد عمل غيرها؟!

وقد يكون لهذه الطائفة رؤوس يمتازون بالموقف الصلب الثابت،

(١) ضمن الرسائل المنيرية، ١ / ١٣١.

والعلم الواسع ، والعمل الدؤوب في بلدٍ واحدٍ ، أو في بلدانٍ متعدّدة ، فرداً أو أفراداً وهؤلاء من التجديد أوفى نصيب ، ولكن يصحُّ أن يقال : إن لغيرهم من المجاهدين في هذا السبيل من التجديد بحسبهم . وهذا ما تلتقي عنده آراء عددٍ من الأئمة المحققين ، وهو ما ينسجم مع ما قررناه في حديثي الافتراق والطائفة المنصورة - السابقين .

وسيأتي في سياق العرض التاريخي لحركة التجديد في الإسلام ما يكشف عن هذا ، وأنه إن جاز أن يكون المجدد في القرن الأول فرداً ؛ فإن احتمال ذلك أقل فيما بعد لأسباب منها : كثرة الشر والفساد ، واتساع مجالات الانحراف وطرقه وأسبابه ، واتساع رقعة الأمة وانتشارها ، وتناقص الخيرية في هذه الأمة حتى لم يعد يوجد الأفراد المستجمعون لصفات المجدد بحذافيرها ، بل هي مفرقة في عددٍ من فضلاء الأمة ونجبائها .

يقول الإمام الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد سياق الخلاف في المجدد : أفرد أم جماعة ؟ - : (ولكن الذي يتعين فيمن تأخر المحمل على أكثر من الواحد ؛ لأن في الحديث إشارة إلى أن المجدد المذكور يكون تجديده عاماً في جميع أهل ذلك العصر ، وهذا ممكن في حق عمر بن عبد العزيز جداً ، ثم في حق الشافعي . أما من جاء بعد ذلك ، فلا يعدم من يشاركه في ذلك)<sup>(١)</sup> .

(١) توالي التأسيس ، ص ٢٤ ب ، ٢٥ أ .

وقال : ( لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدٌ فقط ؛ بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة ، وهو متجهٌ ؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد ، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير ، وتقدمه فيها ؛ ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عنه . وأما من جاء بعده ؛ فالشافعي - وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة - إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد ، والحكم بالعدل . فلعل هذا كل من كان متصفاً بشيءٍ من ذلك عند رأس المائة هو المراد ؛ سواء تعدد أم لا )<sup>(١)</sup> .

وإن لحظت في كلام ابن حجر في هذا شيئاً من الاختلاف عن كلامه ذاك فهو هنا أكثر قناعة بضرورة تعدد المجتدين في القرن الواحد ؛ حيث يعبر عن تسمية عمر بن عبد العزيز مجدداً فرداً بقوله : ( . . إلا أن يدعى ذلك في عمر . . ) ، وأما بالنسبة للشافعي فينفي ذلك عنه لعدم اجتماعه للصفات كلها ، في حين أنه قال قبلُ : ( وهذا ممكن في حق عمر بن عبد العزيز جداً ، ثم في حق الشافعي ) ، فالأولى بالأخذ بكلامه الأخير المنقول من الفتح ؛ لأن الفتح من أهم كتبه وأوثقها عنده وآثرها لديه ، ولتأخر الفراغ منه إلى سنة ٨٤٢ هـ ، وهذا الكلام المنقول هو في

(١) الفتح ، ١٣ / ٢٩٥ .

آخر أبواب الكتاب، على حين فرغ من تأليف كتابه الآخر: (توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس) سنة ٨٣٥هـ<sup>(١)</sup>، ويلحظ أنه أُلْفِهَ للثناء على الإمام الشافعي - رحمه الله - والإشادة به، فاختلف موقعا الكلام.

وقال الإمام الذهبي: (من - هنا - للجمع، لا للمفرد، فنقول مثلاً: على رأس الثلاثمائة: ابن سريج في الفقه<sup>(٢)</sup>، والأشعري في الأصول، والنسائي في الحديث . . . إلخ)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الأثير: (لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه؛ فإن لفظة (مَنْ) تقع على الواحد والجمع. وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة - كما ذهب إليه بعض العلماء - فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل: أولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد؛ فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر؛ إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء، ويتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر.

(١) انظر: توالي التأسيس، الصفحة الأولى، وكتاب: ابن حجر العسقلاني، للدكتور شاکر محمود، ١/ ٢٦٤، ص ٣٠٦، ٥٦١.

(٢) في الأصل: (ابن سريج) بالشين المعجمة والحاء المهملة، وكذلك ورد في مستدرک الحاكم، وفي الغيث المنسجم، ١/ ١٠٥، والصواب ما أثبتناه، انظر: وفيات الأعيان، ١/ ٦٦ - ٦٧.

(٣) فيض القدير، ١/ ١١.

وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا. فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، فإذا تحمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة... فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم...<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير: (وقد ذكر كل طائفة من العلماء: بل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف كما جاء في الحديث من طرق مرسلّة وغير مرسلّة: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين. وهذا موجود - ولله الحمد والمنة - إلى زماننا هذا...)<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع الأصول، ١١/ ٣٢٠-٣٢٤.

(٢) البداية والنهاية، ٦/ ٨٩ مكتبة الفلاح بالرياض، والحديث رواه ابن عدي في الكامل (المقدمة، ص ١٩٠، ٢٣٢-٢٣٣)، والعقيلي في الضعفاء في المقدمة، ١/ ٩، وفي ترجمة معان بن رفاعه السلام، ٤/ ٢٥٦، رقم ١٨٥٤، دار الكتب العلمية، والخطيب البغدادي في الجامع، ١/ ١٢٨-١٢٩، ط مكتبة المعارف بالرياض. ونسبه الهيثمي في المجموع إلى البزار، ١/ ١٤٠، ونسبه الخطيب التبريزي للبيهقي، ١/ ٨٢، والإمام أحمد والعلائي. وضعفه الأكثر، منهم العقيلي والعراقي (التقييد والإيضاح، ص ١٣٨-١٣٩)، والهيثمي في المجموع وغيرهم. وانظر: أيضاً التمهيد، ١/ ٥٩-٦٠، البداية والنهاية، ١٠/ ٣٨١.



ثم أشار إلى الحديث المخرج سابقاً : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» . قال السهارنفوري نقلاً عن الشيخ محمد يحيى : (من يجدد لها دينها، أي : نوعاً منهم وأشخاصاً، فلا يلزم أن يكون واحداً بالشخص، وإن ذهب العلماء في معنى الحديث إلى الذي نفينا . ووجه ما ذهبنا إليه أنه لا ينطبق على كثير ممن تشرف بالتجديد أن يكون جدّد كل نوع من أنواع الدين، فكم من محدّث ليس له من تجديد الفقه نصيب، وكم من باعثٍ على أعمال حسنةٍ هو في نشر أقسام العلوم غريب . مع أنه لم يسمع أن أحداً من هؤلاء عمّ حديثه وفقهه جملة الأقطار، وتشرفت بتجديده - بحسب الظاهر - جملة القرى والأصوار . وأما ما قلنا فالأمر سهل . مع أن كلمة (مَنْ) ليست نصّاً في الشخص الواحد . . ولا يبعد أن يكون لكل مملكةٍ وبلدةٍ من معظم الممالك مجدّد على رأس مائة . . )<sup>(١)</sup> .

وهكذا تلتقي أقوال هؤلاء الأئمة مع ما ذكرناه عن الإمام النووي من قبل في شأن الطائفة المنصورة . وهذا من شأنه أن يجعل كل مؤمن صادق الإيمان حريصاً على أن يقوم بدوره في عملية التجديد، فالقضية ليست شخصاً ينتظر كما يُنتظر المهدي أو عيسى بن مريم عليه السلام، بل واجباً منوطاً في عنق كل داعية مسلم .

(١) بذل المجهود، ١٧/٢٠٢ - ٢٠٤، طبعة دار الكتب العلمية .